

مقدمة :

بدأت المشكلات الأسرية والاجتماعية أهم مميزات و ملامح العصر الحديث التي تعاني منها الإنسانية قاطبة، و لأن كل أزمة تحمل بين كنفاتها بواجر نجاحها وأسباب فشلها ، أضحت البحث عن النجاح الكامن في قلب الأزمات وتنميته واستثماره هو الحل الأمثل و الأساس في إدارة و تسيير الأزمات و المشكلات الأسرية ، فالمشكلة موقف أو وضع يمثل اضطراباً للمنظومة الصغرى وهي الأسرة أو المنظومة الكبرى وهي المجتمع ليحول بذلك دون تحقيق الأبعاد و الأهداف المزمع الوصول إليها مما يتطلب السرعة في اتخاذ قرارات فورية للحيلولة دون تفاقمها و ارجاعها إلى حالة التوازن و الاستقرار المنشودين .

شرح الإسلام مفهوم الزواج ورسخ معناه وربطه بالأنس والمودة والطمأنينة والتعاون، وقد دعا القرآن إلى حسن المعاشرة: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} كما أكدها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم" (رواه الترمذي)، وحرص الإسلام على أن يبعد أسباب الطلاق وينفي التنافر لما يمكن أن يجره على جميع مفردات الأسرة من مشكلات .

و التفكك الأسري في الحقيقة ما هو إلا صورة من الصور التي آلت إليها الأسرة جراء المشكلات أو المواقف التي تتعرضها، إذ تتسم مظاهر التفكك الأسري عموماً بوجود مجموعة من القوى الضاغطة داخل البناء الأسري و التي قد تكون جسمية أو نفسية أو اقتصادية أو اجتماعية بغض النظر كونها داخلية أو خارجية، وينظر الفرد للمشكلة على أنها معول هدامٍ لحياته وأمنه واستقراره وأهدافه، كما تحتم المشكلات الأسرية على الفرد الاستعانة بالآخرين وتخرج به عن السلوك الذي اعتاده في حياته اليومية عن شعوره بالعجز وعدم القدرة على التعامل معها، يقول تعالى: " و إن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله و حكماً من أهلها إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما إنه كان عليماً خبيراً " (النساء 35)، علاوة على ذلك فإن المشكلات الأسرية تثير القضايا و الجوانب التي كانت مؤجلة فنزير من تعقيد الموقف و احتدام الأزمة، ومما يؤسف له أن معظم التخطيط لمواجهة هذه الأمور بدافع التقنين و الحد منها توضع عقب الأحداث المأساوية.

فلا يخلو أي زواج من المشكلات ، يخلت فيها التفاعل بين الزوجين، وتتوتر العلاقة بينهما، وتضطرب حياتهما وتتأزم أمورهما ويغدو توافقهما في الزواج صعباً يحتاج إلى جهد وصبر كبيرين مما يؤثر سلباً على بقية مفردات الأسرة ، ورغبة منهم لفض النزاع يلجؤون إلى مساندة من الأهل والأصدقاء حتى يزول التوتر ويعود التفاعل الايجابي والتوافق الزوجي و

الأسري الحسن. و لكن هل في كل مرة تسلم الجرة و يكون تدخل أطراف خارجية ذو دلالة و بعد إيجابى؟ و هل يحل للأسرة اقحام طرف آخر في أمور قد تكون بالغة الحساسية و السرية...؟

وقد تختلف المشكلات الأسرية فى مستواها ومداها وطبيعتها فمن حيث المستوى : قد تكون المشكلة شديدة أو متوسطة أو خفيفة، ومن حيث المدى: قد تكون مزمنة أو طارئة، ومن حيث الطبيعة: قد تكون متوقعة أو غير متوقعة.

ويختلف تأثير المشكلات على العلاقة الأسرية عموما والتفاعل بين الزوجين خصوصا : فالمشكلات الشديدة والمزمنة أشد خطرا على الأسرة لأنها تدل على استمرار و تصعيد التأزم وصعوبة التغلب عليه أو التأقلم معه. أما المشكلات الخفيفة والمتوسطة فهي شائعة بين المتزوجين ومفيدة فى تنمية الزواج وتقوية العلاقة الزوجية واكتساب الخبرات التى تجعل التفاعل ايجابيا و كما تسمى لدى الغالبية بملح الزواج.

كما يختلف تأثير المشكلات من زيجة إلى أخرى , فبعض الزوجات تهدمها الأزمة ويحدث الانفصال والبعض الآخر يتأقلم الزوجان مع المشكلات ويخضعان لها ولا تعود علاقتهما الزوجية إلى سابق عهدها وزيجات ثالثة يتغلب الزوجان على المشكلات ويتخلصان من كل أثارها فتعود العلاقة إلى ما كانت عليه أو أفضل مما كانت عليه أو كما يقال رب ضارة نافعة صحة الأبدان بالعلل ورب محنة في طيها منحة .

وفى هذا العصر الذى يتسم بالسرعة والتقدم التكنولوجي والماديات والمصالح وارتفاع الأسعار ومحدودية الدخل، أصبحت العلاقة الزوجية يشوبها الصمت سواء في الحوار أو العلاقة الحميمة، وتحول الحوار من كلمات تقال إلى أرقام وطلبات تطلبها الزوجة أو الأولاد ولا يجد الزوج الرد سوى بالقبول أو الصمت.

ويبدو أن ظاهرة الصمت الزوجي أصبحت شبه عالمية؛ ففي تقرير لمجلة "بونته" الألمانية توضح الإحصائيات أن تسعة من كل عشر سيدات يعانين من صمت الأزواج، وانعدام المشاعر بين الأزواج المرتبطين منذ أكثر من خمس سنوات. وتشير الأرقام إلى أن 79% من حالات الانفصال تكون بسبب معاناة المرأة من انعدام المشاعر، وعدم تعبير الزوج عن عواطفه لها، وعدم وجود حوار بناء يربط بينهما..

وتختلف الأسباب المؤدية للصمت الزوجي باختلاف الأشخاص وطبيعة العلاقة بين الزوجين، فقد يكون سببه عدم الصراحة والوضوح بين الطرفين، أو قد يرجع إلى عدم التجديد والروتين والرتابة في العلاقة الزوجية أو ضغط الظروف الاقتصادية دون وجود حلول بديلة

يشارك فيها الزوجان، فقد يكون الصمت هروباً من مواجهة هذه المشكلات أو تناقض الآراء بين الزوجين في أمور الحياة، فيؤثر كل منهما الصمت وعدم التعرض للمواجهة فاتحاً بذلك جبهة جديدة للتأزم المستفيض الذي لا يعدو أن يتنامى فيكون حتمية من حتميات التفكك و الانصهار الاسري .

وقد تجتمع عوامل كثيرة تؤدي إلى التفكك الأسري منها الجهل وضعف الرقابة الاجتماعية والبطالة، وقد يكون الفقر أيضاً من أحد العوامل التي تؤدي إلى ذلك، ولكن ليس في كل الأحوال لأن كثيراً من الأسر تعيش تحت خط الفقر ولكنها تعيش بكرامتها وتكافح لتحقيق وضع بسيط ولكنه كريم كما أن هناك أسراً خرجت مبدعين ومكافحين لأن الحاجة هي التي دعتهم إلى السعي والاجتهاد.

وقد تؤدي التقاليد والأعراف إلى أن يزوج الآباء بناتهم بأشخاص غير أكفاء في الخلق والدين وذلك طمعاً في مال أو جاه؛ فنكون النتيجة أن تعاني البنات بعدها من جحيم حياة لا يطاق، وبنفس الطريقة قد يختار الرجل شريكة لحياته لجمالها الشكلي فقط دون الاخذ بعين الاعتبار للشروط المعايير الأخرى و قد يصدق القول: كثير من الرجال يخطئون إذا اعجبهم شيء من جمال المرأة اخذوا المرأة كلها ؛ مما يشكل خطراً قادمًا على كيان الأسرة. تقول عائشة رضي الله عنها: "إن فتاة دخلت عليها فقالت: إن أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته وأنا كارهة، فقالت اجلسي حتى يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء الرسول فأخبرته فأرسل إلى أبيها فدعاه فجعل الأمر إليها فقالت: يا رسول الله قد أجزت ما صنع أبي ولكني أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء ."

من أسباب التفكك الأسري أيضاً التقليد الأعمى للثقافة السالبة الدخيلة والغزو الثقافي السالب؛ لما له من تأثير سلبي على دعائم الأسرة ، إذ لا تقاوم هذه الآثار إلا بتعزيز التربية الجيدة والأخلاق والقيم الحميدة لمواجهتها حتى تكون ضعيفة وتكون الأسرة قوية أمامها .

أما آثاره الخطيرة على الأسرة والمجتمع فهي أن الأسرة تعيش في جو من القلق والخصام وعدم الاستقرار النفسي وعدم الاحترام المتبادل وعناد وتسلط طرف على الآخر. وقد يتحول التفكك إلى عنف لفظي أو جسدي قد يؤدي إلى تمرد بعض أفراد الأسرة. كما أن أخطر الآثار هي انحراف الشباب أو تشرد الأبناء وتخلفهم الدراسي، وتترسب مشاعر العداوة في قلوبهم تجاه أسرتهم وتجاه المجتمع بأكمله.

إن التوازن المنشود للأسرة يتحقق في تماسكها واستقرارها واستقامتها، فإذا اختلت أي من هذه المعايير تفككت الأسرة وضاعت. والاستقرار لا يتم إلا بإشاعة المودة والصراحة والصدق

والأمانة وتعزيز الثقة بالنفس.